أسد البحار حسام الدين لؤلؤ



في حصن الكرك جلس ارنـول وشـلومبرجيه ينظـران الى رينو دى شاتيو أو ارناط كما يسميه المسلمين وهو يشرح خطته بالمسير إلى مدينة الرسول صلى الله عليـه وسـلم ليســتولي عليهــا، وبــذلك يوجــه أكــبر صــفعة للإســلام والمسلمين وما ان انتهى من حديثه حتى قال ارنول

- القاضي الفاضل أفتى بسببك أن الحج ليس بواجب على أهل تلك البقعة لعدم أمنهم بسبب فتكك بقوافـل الحجـاج المــارة بهــذا الطريــق، لقــد انتهكت بالفعــل الهدنــة المعقودة .. والان تريد أن تسرق قبر رسولهم

أكمل شلومبرجيه

- اتفق معك ارنول أن الشيطان نفسه يخجل من ذكر هذا الأمـر حـتى ولكن رينـو أعـد للأمـر عدتـه ولاتوجـد قـوة تستطيع منعنا البحر لنا والطريق الى ميناء العقبـة ميسـر وصــلاح الــدين في حــران ولايــزال يعــاني من هزيمــة مونتجيسارد

هنا تحدث رينو ضاحكا

- هناك أمر آخـر لـدينا حلفـاء سيسـاعدوننا والطريـق الى مدينة المسلمين وقبر نبيهم ميسر ولن يقف أمامنا أحد

نظـرا لـه بعلامـات الاسـتفهام فأشـار الى حراسـه الـذين يشبهون الجبال وهنا دخـل عليهم رجـل يرتـدي زي عـربي ومع ذلك رحب به رينو بشدة وهو يقول

- جوهر حليفنا وأمير الحجاز القادم بل وأمير العـرب كلهم بعد أن نستولى على المدينة وندمر صلاح الدين

لم يتحدث جوهر فقط نظر الى الخرائط ثم تحدث أخيرا

- سـفنكم سـيتم نقلهـا الى سـاحل البحـر الأحمـر مفككـة على ظهور الجمال وكأنها قافلة تجاريـة لن يكتشـفها أحـد وعندما تصل الى رابغ سيكون بينك وبين المدينـة مسـيرة ليلة واحدة ولن يوقفك أحد والقوات الموجودة غير كافيـة فضلا عن دعم رجالي

ستكون مفأجاة وجود اسطول لـك في البحـر الأحمـر لـذا سيكون لك فرقتين فرقة على حصن أيلة وسهل حصارهم هناك ومنع الماء عن أهلها فتسقط بسهولة ومعهـا جزيـرة فرعون أيضا أما الفرقة الثانية فنحو عيذاب فافعل فيها ما تشـاء من نهب وسـلب فلن تجـد هنـاك فـارس أو رجـل بسيف يقف أمامك.

تدخل ارنول

- هل انت واثق مما تقول أيها العربي

جوهر بغضب - يجب أن تثق في كلامي فانا طـريقكم الى النصر

رينو - ارنول لايقصد إنما يقصد هل سـتقابلنا طيـور ابابيـل ترمينا بحجارة من سجيل

ضحك الجميع واكمل جوهر - لن يرسل الله شـيئا لحمايـة هؤلاء الأغبياء

أكمـل رينـو - سـنبدأ في الشـتاء فهـذا أنسـب لنـا وجيش صـلاح الـدين مشـغول في دمشـق وسـيكون معنـا خمس سفن من نوع الغربان نطليها بالقار الأسود للتمويه تحملها يا جوهر من الكرك الي أيلة (خليج العقبـة) لنعيـد تركيبهـا ونبدأ هجومنا

جوهر - هذه مسافة 125 كيلو متر سـأكلف بهـا 300 من أفضل فرساني

رينو - سيكون معك 1500 مقاتـل من رجـالي وصـناديقك من الذهب تعبأ الان على الجمال لتحملها معك

جوهر - ساعطيك ما هو أعظم من كل الكنوز قبر رسـولنا الكريم

ابتسم ارنول وشلومبرجيه في توتر وهما يتابعـان الحـديث في صمت وما ان انصرف جوهر حتى قال شلومبرجيه

- اذا نجح الأمر سيكون صدمة كبيرة للمسلمين واذا فشل فحتى ابليس سيخجل من افعال رينو

في مدينة حران كان صلاح الـدين مـع مستشـاريه بعـد أن بـــني الصـــليبين قلعـــة في منطقـــة ممنوعـــة وانتهكـــوا الاتفاقيات بدا الحديث بن شداد

- بعـد معركـة الرملـة بغـزة زادت وقـاحتهم وخاصـة هـذا الملعـون ارنـاط - اقـترح أن نـدمر القلعـة على رؤوسـهم فورا قبل أن تكتمل

صلاح الدين - لا اتركوهم يستلكهوا مواردها ورجالهم فيهـا ولكن نحمى المراعي حولها فلابـد أنهم سـينهبوها ومـا ان تكتمل حتى نأخذها منهم إن شاء الله أجهـز لهم لمعركـة كبيرة في حطين بـإذن اللـه سـيكون فيهـا هلاكهم ويصـبح الطريق ممهدا الى بيت المقدس

- القاضـي الفاضـل افـتي بعـدم وجـوب الحج بسـبب هـذا المجرم رينو

- ان ظفرت به ساقتله حتى لو كان اسيرا لعنة الله

يدخل أحد الحراس على عجلـة في يديـه رسـالة يتسـلمها منها قراقوش ويقرأها

- أسـطول الصـليبين اسـتولى على مينـاء العقبـة ونـزلت قواتهم الى آيلة وعيذاب

- لعنة الله عليهم يريدون مدينة رسول الله

- في انتظار أوامرك جلالة السلطان

- فورا غارة كبيرة على حصن الكـرك سـتجبر ارنـاط على العودة وارسل الى العـادل في مصـر ليس لهـذا الأمـر الا حسام الدين لؤلؤ أسد البحار

- ولكن الأسطول في البحر الأبيض وبالفعل في معارك على طول الساحل الشامي

- كما قلت ليس لهذا الأمر الا لؤلؤ البحر حفظ الله مدينة رسول الله

درس المسمار

رغم أن معركة بحرية كبيرة كانت على مقربة من سفن حسام الدين لؤلؤ إلا أنه كان جالسا مع غلام 10 سنوات تقريبا اسمه خير الدين ويضع مسمار في إناء به ماء ثم التف للغلام وقال

- المسمار يغرق

فرد الغلام – طبعا لأنه ثقيل على الماء

فاكمل حسام – الان ساضع ورقة صغيرة لتطفو ثم أضع المسمار فوقها

ابتسم الغلام – الان المسمار يعوم على الماء ما السر؟

رد حسام – السر في الكثافة والحجم هناك قوانين تحكم علاقة الأجسام بالماء نسميها قوانين الطفو يجب أن تدرسها لتعرف كيف يغرق مسمار في الماء ومع ذلك تعوم السفن المحملة بالمدافع والالاف المسامير

- ولكن هذا لايكفي لبناء سفينة قوية
- هناك أشياء كثيرة يجب أن تدرسها في دار الصناعة عندما نعود للقاهرة إن شاء الله
- إذا عدنا ربما نكون شهداء خلال الساعات القادمة

ضحك حسام الدين وقال – إن شاء الله سننتصر

تجمع القادة حول حسام الـدين بينمـا تـابع من على ظهـر سـفينته أسـطول الصـليبين المكـون من 100 سـفينة ثم تطلـع الى سـفنه الثلاثين بأحجامهـا الصـغيرة والتـف الى قادة السفن بجواره وقال

- سنقوم الان بمناورة هجومية دون هجوم على أسطولهم

- دون هجوم

- نعم يا صفي الدين ولمدة ساعة ثم نهاجم

- سيتجمع أسطولهم ولن تكن لدينا أي فرصة سفنهم أكبر ومدي المدافع أبعد

- عظيم طالما أنك تفكر بهذه الطريقـة سـيفكر الصـليبين مثلك

- ثم

- سنبدأ الهجوم بعد أساسـي ومـع بـدء اطلاقهم للقـذائف ننسحب

- ثم

- ثم تكبيرات النصر إن شاء الله

لم يفهم القـادة خطـة حسـام الـدين ولكنهـا لم تكن أول معركة يشتركون فيها معه وكان الثقة بـه كبـيرة وبالفعـل بـدأت المنـاورات والحـيرة على وجـوة قـادة الأسـطول الصليبي

- ماذا يفعلون مناورات هجومية بهذه السفن القزمـة على سفننا العملاقة

- ربمـا يريـدون الـذهاب الى الجنـة اليس المـوت عنـدهم معناه الشهادة والجنة

- بهذا الغباء

- المناورات مستمرة منذ نصف ساعة سيقتلوننا بالملل

يضحك الجميع

- هل نهاجم

- لا نحن أفضل هكذا صـف واحـد سـنحرقهم مـرة واحـدة عند الهجوم وكذلك الرياح لا تساعدنا

- الافضـل أن نبقى متحـدين مـراكبهم السـخيفة تسـتخدم المجاديف اعتمادنا على الرياح لن يكون مفيدا الان

وبعد ساعة بدأت سفن المسلمين تتقدم وقصـف السـفن الصليبية بالمدافع فانسحب المسلمين بسرعة

كانت هناك حالة من الفرح والضحك على السفن الصليبية وبدأ البحـارة يشـتمون المسـلمين ويسـخرون منهم ولكن الأمـــــــــر لم يســـــــــتمر طـــــــــويلا فجأة دوي انفجـار قـوي وبـدأت السـفن تحـترق والنـيران تتطاير من سـفينة لأخـري بسـبب المسـافة وسـرعان مـا غرق الكثير واحترقت معظم السفن

صفي الدين بدأ التكبير ومعه الجنود وضحك حسـام الـدين وهو يقول له

- المعركة الحقيقية كانت في الأسفل مـع الغواصـين نحن في الاعلي كنا فقط للالهاء

- والان ماذا سيحدث

- بعد أن نلتقط رجالنـا نعـود والحمـد للـه على النصـر في رمضان مثل معركة بدر

- سنفطر في بيوتنا اليوم

تدخل قائد - لا أظن هناك رسالة خطيرة من العادل

قدم لحسام الدين الرسالة وما ان قرأها حتى صاح

- رينو يريد سرقة قبر رسول الله

كانت الرسالة قصيرة الى لؤلـؤ البحـر البحـر لـك ومدينـة رسول الله أمانة عنقك

عمل حسام الدين بجد مع رجالـه وخاصـه فرقـة المغاربـة حيث تم تفكيك الأسطول وتحميلها على الجمال

وكان يصيح - لانوم حتى ننقذ مدينة رسول الله

استخدم لؤلؤ موارده بذكاء وساعده عرب الحجـاز بالمـال والرجال والخيل لذا فرق الأسطول إلى فرقتين. فصـارت الأولى إلى قلعة أيلة واستولت على مراكب العـدو وقتلت من فيها أما الفرقـة الثانيـة فـذهبت إلى عيـذاب فلم تجـد رينو فظل لؤلؤ يتبعه ليل نهار، حتى أدركه بعد خمسة أيام على مسافة يوم من المدينة

عندما ابتدا لؤلؤ الهجـوم على أيلـة انقض عليهم انقضـاض العقـاب على صـيدها ، فقـاتلهم ، فقتـل بعضـهم ، وأسـر الباقي ثم عيذاب ، فلم يرهم، ولكنه رأي مـا فعـل ارنـاط من سلب ونهب وقتل وكانوا قد أغاروا على ما وجدوه بها ثم يشق الملعون طريقه إلى مكة والمدينة.

فلمـا وصـل لؤلـؤ إلى عيـذاب وجـد الصـليبيون دمروهـا وتوجهـوا للحـوراء المواجهـة للمدينـة المنـورة وبسـاحل الحوراء أدرك لؤلؤ أخيرا الجيش الصليبي وكانت المعركة وقتل معظم جيش ارنـاط ومـا زال لؤلـؤ وأتباعـه يتبعونـه ليل نهار ، حتى أدركهم بعد خمسة أيام على مسـافة يـوم

من المدينـة فأسـلموا أنفسـهم لـه ، ولم ينجح في الفـرار سوي ارناط.

كان جوهر يسير بجوار رينو على الخيل في ثقـة ويتحـدث عن مستقبله كسلطان لكل العرب أما رينو فكـان يتحـدث عن الأموال التي سيجنيها بعـد أن ينبش قـبر رسـول اللـه وينقله الى الكرك وخلال حديثهما الواثق سرت الى أذانهم صوت خيل مسرعة وتقدم فارس من جوهر وهو يصيح

- حسام الدين لؤلؤ وفرسانه

صرخ جوهر - استعدوا للهجوم

ولكنـه لم يجـد ارنـاط بجـواره وأكتشـف انـه هـرب فـور سماعه بقـدوم حسـام الـدين والـذي مـا ان اقـترب حـتى استسلم رجال جوهر وفرسان الصليب دون قتال وتقــدم حسام الدين من جوهر وهو يتلو آيات من سورة الحشر

- ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليـولن الأدبـار ثم لاينصرون

أخرج جوهر سيفه ولكن حسام قتله بضربة واحدة

ســواء فرســان جــوهر أو ارنــاط كـانوا أجبن خلـق اللــه فاستسلموا بسهولة دون قتال، وعـاد بهم لؤلـؤ إلى مصـر وفي أرجلهم القيود..وانطلق من بلد إلى بلد، وهــو يتعقب الأسطول الصليبي، موقعا به الهزيمة الواحدة تلو الأخــرى ولكن رينو الملعون كان قد هرب الى حصن الكرك.

(ما كان لؤلؤ فيها إلا سهما أصـاب وسـيفا قطـع ... ركب الســـــبيلين: بــــراً وبحــــراً، وامتطى السابقين: مركبا وظهرا، وخطا فأوسـع الخطـو، وغزا فأنجح الغزو)

من رسالة السلطان صلاح الدين بقلم القاضي الفاضل إلى أخيه الملك العادل أبي بكر، بشأن انتصار الأسطول المصري بقيادة أميره حسام الدين لؤلؤ على الأسطول الصليبي.

في القاهرة كان حديث قصير بين صلاح الدين وحسام الدين لؤلؤ وبعد التهنئة بالنصر الكبير أخبره فيه باقتراب معركة حطين وأنه يعد للصليبين يوما سينسون فيه كل انتصاراتهم ولكن بعد المعركة ان شاء الله يجب الهجوم على الساحل لقطع خطوط الامداد وحصارهم داخل الشام وهنا ياتي دور حسام الدين لؤلؤ وبعد استكمال الحصار برا وبحرا يكون الزحف للقدس وتحريرها.

استمع حسام للسلطان بحرص وما ان انتهى حتى قال

- لاوقت الان يجب أن نبدأ في الهجوم فورا والبداية من عسقلان ب15 سفينة من الاسكندرية
ضحك صلاح الدين وقال – سبحان الله وأنت تتحدث تذكرت حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم "أُريتُ ناسًا من أمتي عُرِضُوا عليَّ غُزَاةً في سبيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبْجَ هذا البحرِ كالملوكِ على الأسِرَّةِ".
- صلى الله عليه وسلم الجهاد البحري بدأ في عهد سيدنا معاوية رضي الله عنه وأضاع الفاطميون كل شئ
- سنستعيد الجهاد البحري بك وأمثالك من أسود الإسلام

كعادته قبل المعركة وقف حسام الدين مع مساعده الشاب صفي الدين يقرأن القرآن الكريم وما أن بدا حسام الدين حتى قال

- لعن الله جـوهر ذكـرني بشـاور لعنـه اللـه أحـرق مدينـة الفسطاط ودور الصناعه ودمـر صـناعة السـفن من أجـل السلطة والعرش

- هـؤلاء في كـل مكـان وزمـان وهم أصـل البلاء وصـفهم العماد الأصفهاني بالمنافقين الـذين كشـفوا عـورات البلاد ولكن الحمد للـه كـل شـئ يسـير بشـكل جيـد الان العلم والصناعة أساس القوة البحرية

- جيد جدا اليوم إن شاء الله ستصل أخبـار نصـر كبـير من حطين ولكن سـيكتمل بانتصـارنا البحـري وقطـع خطـوط الامداد لحصر الصليبين في الشام.



مـع اذان الفجـر صـلي الجميـع في السـفن وغيرهـا ومـع شروق الشمس بدأ الهجـوم على الاسـطول الصـليبي في عسقلان وتم استخدام كافة أنواع السفن (الشواني) أكـبر السـفن الحربيـة متعـددة المجـاديف تصـل أحيانـا ل230

مجـداف و(الطرائـد) لسـرعة حركتهـا ضـرب بهـا البحـارة جنـاح الأسـطول البـيزنطي ثم السـفن الناريـة المحمّلـة بمـواد قابلـة للاشـتعال كـانت معركـة سـريعة من عـدة اتجاهات اربكت العدو وسـقط الأسـطول بسـرعة مذهلـة حتى أنهم تمكنـوا من انـزال المقـاتلين على سـفن العـدو باسلوب الربط والالتحام ثم الاشتباك على ظهـر السـفينة ولكن كل ذلك كان البداية لحسـام الـدين فقـد اراد الخـط الساحلي كله عكا يافا صيدا جبيـل بـيروت وغيرهـا وطلب من صفي الدين التقدم بسفن العكـيري (العشـاري) وهي سفن مجذفة تصل لـ 60 مجـدافاً وأيضـا الشـباك مـراكب حربية بثلاثـة أشـرعة لاسـتكمال الهجـوم الكامـل واربـاك العدو.

صرخ رينو بعد هزيمة حطين وقـد وقـع أسـيرا وتـذكر أنهـا ليست المرة الأولى فقد كـان أسـيرا عنـد المسـلمين 16 سنة كاملة ولكن هذا جعله كرهه للاسلام والمسلمين رغم المعاملة الجيدة التي يعاملهـا المسـلمين عمومـا للاسـرى وليس رينو فقط ولكن هذه المرة كانت مختلفة فقط قتل صلاح الدين أسرى معركـة الحـوراء ال170 لأنهـا هـاجموا المدينة المنـورة وقتلـوا الحجـاج والتجـار الأبريـاء واقسـم أيضا على قتلـه بعـد أن فـر من المعركـة ومـع ذلـك كـان يصرخ - أنا أمير ويجب أن اعامل كأمير

تقدم منه صلاح الدين وبضربة واحدة من سيفه قتله لعنــه الله عليه وعلى أمثاله وتقدم بن شداد من صلاح الدين

- أيها السلطان لو رأيت الأسرى لقلت مـا مـات أحـد ولـو رأيت القتلي لقلت ما بقى أحد

- الحمد لله على النصر.. الحمد لله القدس أصــبحت على مرمى البصر

- هل سنطعم كل هؤلاء الأسرى فضلا عن المصابين منهم

- سنعاملهم بأخلاق الاسلام أخلاقنا لا أخلاقهم

هنا توجه الأمير بلدوين من صلاح الدين وكان أسـيرا أيضـا وسأل

- هل ستقتلنا أيضا مثل رينو

- رينو قتل الحجاج وهاجم المدينـة المنـورة أمـا أنت فقـد كنت في معركة تقاتل مثل الفرسان

- أشكرك أيها السلطان لو كنت مكانك لما فعلت ذلك

- اعـرف ذلـك وتـاريخكم يشـهد عليكم .. اريـدك معي يـا بلدوين للاطمئنان على المصابين منكم لعل الله أن يهـدي قلوبهم للاسلام والحق

- اعتقـدت أنـك سـتذهب الى القـدس الان سـتجد هنـاك مقاومة عنيفة

ضحك صلاح الدين

- لن تكـون هنـاك مقاومـة بوابـة القسـيس كريسـتيان لن تصـمد أسـبوع أمـام المنجـنيق وفي المواجهـة لقـد رأيت بعينيك ما يحدث

- نعم رأيت أنت تعرف الكثير ومتجهز للمعركة

- حسنا الان الى الأسرى وأنت يا بن شداد استكمل هجوم حسام الدين لؤلؤ من البر حتى يكتمل الحصار وقطع خط الامداد وندخل القدس إن شاء الله

نحن الان في عام 2025 أقف عنـد سـفح المقطم مكـان اسمه القرافة الصغرى ويقف الى جواري رجـل ليس من هـذا الزمـان ويتحـدث عن المسـجد والقـبر الـذي كـان

موجودا له في ذلك المكان وغيرها من المنشآت الخيرية التي بناها من ماله الخاص ولم تعد موجودة وتاريخ تلك الفترة التي عاشها وما ان انتهي حتى قلت له

- سيدي حسام الدين لؤلؤ أنت لم تهزم في أي معركة والحمد لله
- مرة واحدة غفر الله لنا.. في صور هاجمنا العدو على غفلة وقتلوا الكثير رحم الله شهداءنا... ينتصرون علينا بذنوبنا
- يغفر الله لنا سيدي حسام الدين

تقدمت بنتي مليكه وأبني حمزة وهما يسألان

- بابا أحنا واقفين هنا ليه

فقلت لهم أن في هذا المكان كان مسجد وقبر قائد عظيم أسمه حسام الدين انقذ المدينة المنورة وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار والمنافقين الذين كان على مسافة قريبة جدا بجيشهم

وتساءل حمزة – أين المسجد وأين القبر

فقلت – ضاعت.. أضعناها مثلما أضعنا الكثير



مر يوم من الزمان عجيب كاد يبدي فيه السرور الجماد

إذ أتي الحاجب الأجل بأسري قرنتهم في طيها الأصفاد

بجمال كانهم جبال وعلوج كأنهن أطواد

قلت بعد التكبير لما تبدي هكذا هكذا يكون الجهاد

حبذا لؤلؤ يصيد الأعادي وسواه من اللآلي يصاد

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه والدر في البحـر لايخشـي من الغير

فأمر حسامكم أن يحظى بنحرهم فالدر مذ كـان منسـوب الى النحر

البحر لايعدو على لؤلؤ أنه كون من لجه

يا حاجب المجد الذي ماله ليس عليه في الندى حجبه

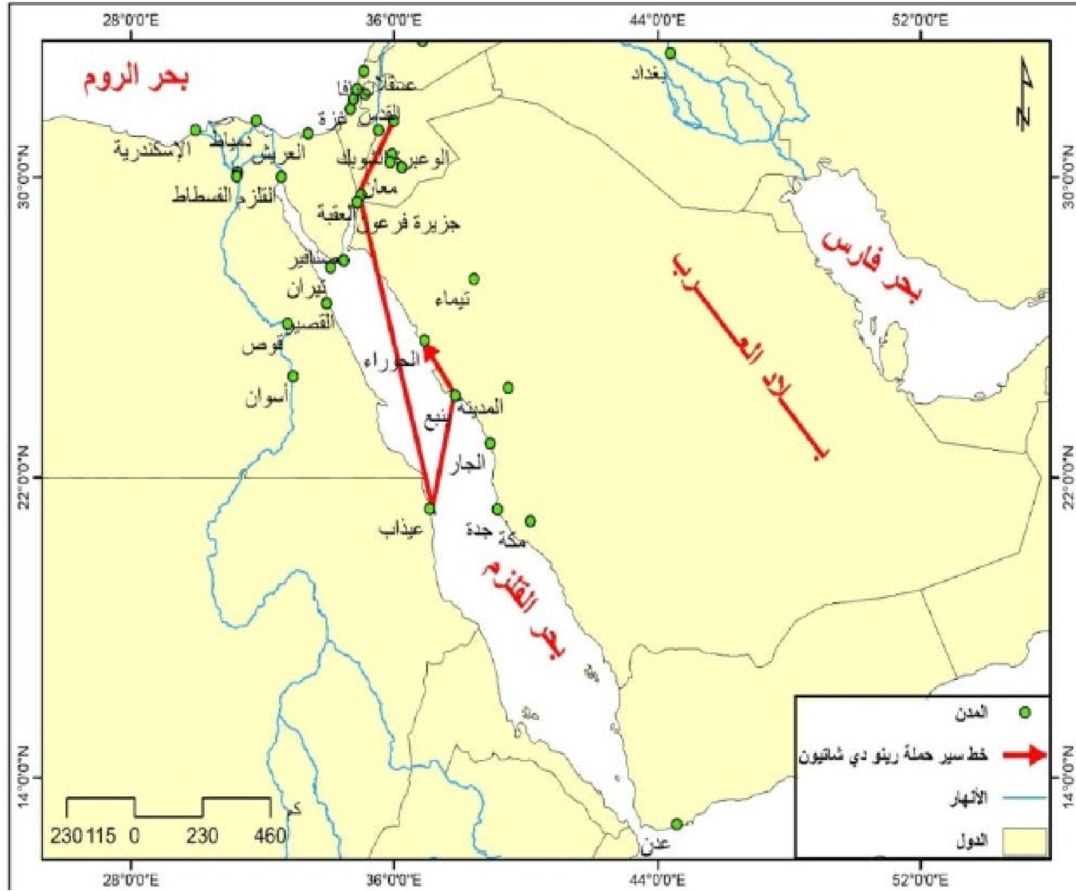
ومن دعوة لؤلؤ عندما صحت من البحر له نسبه

لله ما تعمل من صالح فيه وما تظهر من حسبه

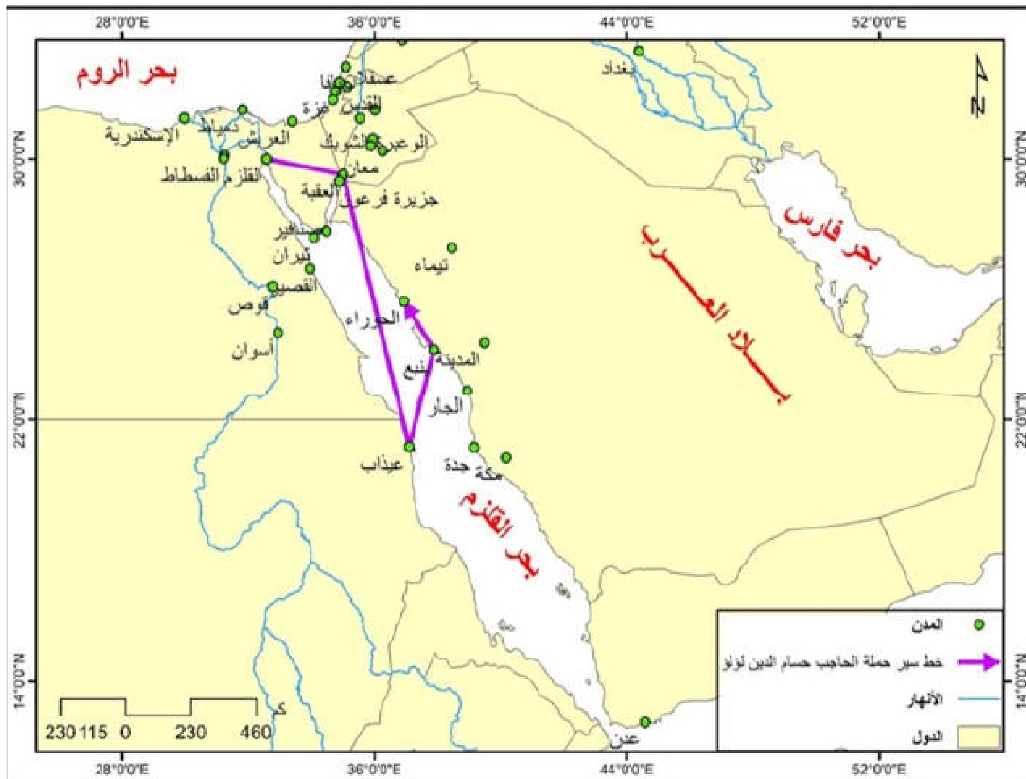
كفيت أهل الحرمين العدى وذدت عن أحمد والكعبة

تمت بحمد الله

خريطة (١): توضح خط سير حملة رينو دي شاتيون (أرناط) سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢



خريطة (٢) خط سير حملة حسام الدين لؤلؤ سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م



خريطة (٣): توضح موضع إمارة الكرك وخليج أيلة (العقبة) وجزيرة فرعون

